رضا خان شاه ايران

كتب ڤاسوديو مقالاً احد محاميه كلكتا في مجلة التاريخ الجاري الاميركية الصادرة في دسمبر الماضي مقالة وجيزة عن الشاه رضا خان قبل ان جلس على عرش ايران فاعتمدنا عليها في اكثر مما يلي لاننا رأينا فيها من الحقائق التاريخية والعمرانية ما نودّ اثباتهُ

ان رضا خان اقدر رجل قام في ايران في الخمسين سنة الاخيرة . ولد في ولاية مزندران سنة ١٨٧٧ وارتقى بجدهِ وصدق عزيمتهِ كما ارتقى جنكيز خان وتيمور لنك وامثالهما من نوابغ العصور . انتظم في سلك الجيش وعمرهُ ١٦ سنة فلم يكد يبلغ السادسة والاربعين حتى صار سرداراً للجيش كلهِ . وبلغ من شأنهِ انهُ صارت لهُ حينئذٍ الكلمة العليا في ايران فنصب صدراً وخلع الشاه احمد قاجار ونادى بالجمهورية وصار رئيساً لها ثم جلس على عرش ايران في ١٣ دسمبر سنة ١٩٢٥ بقرار مجلسها الاعلى ونودي بابنهِ ولياً لعهده فهو الرجل الذي انتظرتهُ ايران من سنين كثيرة ليصلح شؤونها ويعيد اليها مجدها السابق ويسير بها في سبيل الحرية والفخار

فلما حدث انقلاب عظيم في بلاد من البلدان الأ سبقتهُ شوائب كثيرة وعيوب فاضحة ضاقت بها الصدور فطلبت الانفراج وهذا ما حدث في ايران . ففي سنة ١٩٠١ نالت شركة البترول الانكليزية الفارسية حق استخراج البترول من مصادرهِ في كل الجانب الجنوبي من بلاد ايران فاغتاظت روسيا من ذلك وجعلت تعتدي على شمال البلاد ودامت المناظرة بينها وبين انكلترا الى سنة ١٩٠٧ فاتفقتا حينئذٍ على ان يكون شمال ايران منطقة نفوذ روسيا وجنوبها منطقة نفوذ انكلترا فاقتسمتا البلاد اقتصادياً وابقتا لايران شقة ضيقة بينهما

ولقد كان من المحتمل ان تقتسم روسيا وانكلترا بلاد ايران كلها وتمتلكاها لو لم تقع الحرب الاوربية سنة ١٩١٤ فانهُ كان من اول نتائجها ان زالت الحكومة القيصرية سنة ١٩١٧ فانصرفت روسيا عن الاشتراك في السياسة الاوربية سياسة امتلاك البلدان ولكن خلا الجو لانكلترا فبعثت بجنودها الى ايران سنة ١٩١٩ وطلبت من حكومتها ان توقع الاتفاق البريطاني الفارسي لكن مجلس ايران رفض ذلك . فلم تصرّ انكلترا على طلبها لان حكومة الروس البلشفية كانت قد تغلّبت على متاوئيها دنيكن ورنغل ووصلت الى

ايران فوقعت المناظرة بينها وبين انكلترا . وكان رضا خان قد صار من الضباط العظام في فرقة القوزاق وهي اجل فرق الجيش الايراني فتمكن من بلوغ ظهران وحمايتها وقلّد السيد ضياء الدين الصدارة العظمى لانهُ وجدهُ حرًّا متنوراً . ولكن ضياء الدين طلب المساعدة المالية من انكلترا فاغتاظ منهُ رضا خان وكان قد صار سردارًا للجيش واضطرهُ الى نقل الجندرمة من وزارة الداخلية الى الحربية . فرأى ضياء الدين انهُ لم يبقَ لهُ حول ولا طول ففرَّ الى بغداد واحتمى بانكلترا . فتقلد رضا خان رآسة الوزارة وبقي سردارًا للجيش . وكان من امرهِ انهُ اوقع بين الروس والانكليز وهو اميل الى روسيا منهُ الى انكلترا لان روسيا الفت كل الامتيازات التي نالها الروس من ايران ووعدت بان لا تستغل البلاد ولا تحتاج شيئًا من املاكها . وحاوى الروسُ الايرانيين وبذلوا جهدهم في مساعدتهم . فلم يستطع الايرانيون ان يقاضوا شعبًا يتودد اليهم . وهناك اسباب اخرى تجعل رضا خان يفضل الروس على غيرهم فانهُ يحسن الروسية وقد تعلم علومهُ الحربية من الروس . ولايران تجارة واسعة مع روسيا من صادر ووارد ولا تستطيع ان توسع تجارتها مع بريطانيا لان ليس فيها سكك حديدية

وقد عمل رضا خان اعمالاً عظيمة في المدة القصيرة التي كانت الادارة فيها في يدهِ فالجيش الايراني كان معلومهُ من الروس والبريطانيين وغيرهم من الاوربيين فصرف كلَّ هؤلاء ولم يبقِ في الجيش احداً من الاجانب . والجيش مؤلف الآن من ست فرق في كل فرقة ٣٦ الفًا فمجموعهُ اكثر من مائتي الف . ووزع هذه الفرق في انحاء البلاد فاستتبَّ الامن فيها بعد ان كانت دعائمها متزعزعة . وتمكن من جعل البريطانيين يخلون جنوب ايران ومن اخضاع الاكراد الذين ثاروا بزعامة اسمعيل سمتكو واذلَّ قبائل اللور على حدود العراق وقضى على غيرهم من قبائل الجنوب بدفع الجزية وكانوا قد ابطلوا دفعها من زمن واضطرَّ رئيس عربستان شيخ المحمرة الى الاعتراف بسيادة ايران وبالاخلصار ضمَّ اجزاء ايران بعضها الى بعض بعد ان كادت تتصدع

وهو الآن على وفاق تام مع تركيا وافغانستان وقد اصلح دواوين الحكومة ونشر الامن في البلاد وعامل الجميع بالانصاف . وكان البهائيون مضطهدين قبل ايامهِ فزال الاضطهاد وهم يعاملون الآن بالاكرام مثل غيرهم من الرعايا وهذا شأن اليهود ايضًا والزروستريين . ونشط معامل القطن في يزد وهي للزروستريين وامر ان يلبس كل رجال الحكومة من منسوجات البلاد . وبذل همتهُ في احياء صناعة السجاد والحرير وغيرهما

من الصنائع الايرانية القديمة . ومن اهم ما هو ساع اليهِ اصلاح نظام التعليم . والشعب الايراني من ارقى الشعوب اروميةً فاذا تناول مقومات العمران الحديث الثاني ولم يعبأ بالذين يحاولون ردهُ الى القديم الباني وجرى هو والشعب التركي في هذا المضمار لم تمضِ سنون كثيرة حتى نرى في الشرق الاوسط عمرانًا زاهراً يباهَى بهِ

الشيخ مرعي صبيح

قصة مصرية .

٢

اما الست رُقية واولادها فقد لحقتهم المذلة وحُرموا ما تعودوهُ من طيبات الحياة ولكنها جبلت على الشمم فلم تظهر حالها وتمكنت بالقناعة والصبر من الظهور باليسر ولم تشرك في امرها احداً سوى ابن خالتها « الحاج عزب متولي » ، وكان كحيلاً بصيراً بالعواقب ، فتمكن بالشجاعة والحيلة من استرداد عشرة افدنة من الاطيان التي تملكها رقية وضمها زوجها الى ملكهِ واخذ عزب يزرعها ويستخلص ايرادها لرُقية . وكانت لا تذكر زوجها بخير ولا شر وعنايتها منصرفة الى تعليم الولدين ما تيسر من القرآن وقواعد الحساب وتدريب البنت على تدبير المنزل . واخذ الدوّار يُقفر ويغادرهُ المقيمون بالتدريج ولم يبقَ فيهِ الاّ وسيلة الحبشية وزوجها مرجان فقد ابيا هجر سيدتهما وأُغلقت المضيفة والمنظرة، وذبلت ازهار الحديقة وجف ماؤها . وكانت رقية تسمع احيانًا اصوات اجانب يذكرون اسم زوجها ويكتبون في اوراق و يتركون لها اوراقًا اخرى ثم ينصرفون فاخبرها الحاج عزب بانهم محضرون من المحكمة المختلطة وقال لها : « ان كنت شاربة من ثدي امك فانفري وابحثي عن هذا الخاسر وردديهِ بالقوة الى بيتهِ الذي خرب واولادهِ الذين تيتموا في حياتهِ »

رقية : « كيف اردهُ بالقوة يا حاج عزب ! قوة ربنا فوق كل شيء »

عزب : « لكن ربنا امرنا بالسعي وترك الحبل على الغارب غلط »

رقية : « صحيح يا ابن خالتي لكن مضى زمن طويل والشيخ مرعي على حاله »

عزب : « طيب يا رقية والاوراق النازلة علينا مثل المطر من المحكمتين الاهلية والمختلطة والبنوك واخواجات ارباب الديون بالربا »